تنظيم القاعدة من الداخل كما يروي ابو جندل (ناصر البحري).. الحارس الشخصي لبن لادن (1)

السعودية وفرت المناخ الديني والاعلامي للجهاد الافغاني وانقلبت على المجاهدين لخوفها من أثرهم

بن لادن استخدم الأراضي السعودية مكانا لاستقطاب عناصر «القاعدة» ولكن تحت غطاء «دور الضيافة»

اجرى الحوار: خالد الحمادي*

بعد أحداث 11 أيلول (سبتمبر) 2001 كُتب الكثير والكثير وبعدة لغات عن تنظيم (القاعدة) الذي يتزعمه أسامة بن لادن، غير أن تلك الكتابات كلها كانت من خارج التنظيم ولم تعد أن تكون مجرد اجتهادات صحافية أو استندت على تقارير استخباراتية، قد يصيب بعضها ولكن قد يخيب أغلبها.

ولذا حاولت «القدس العربي» التميزّ والاقتراب من ذلك بإجراء هذه السلسلة المطولّة من هذه اليوميات والذكريات للحارس الشخصي السابق لأسامة بن لادن، المعروف بلقب (أبو جندل) واسمه الحقيقي ناصر البحري، الذي حاولنا من خلاله فتح الأبواب المغلقة، وزيارة المملكة المحظورة، تنظيم (القاعدة)، والغوص في أغواره من الداخل عبر واحد من أهم العناصر الذين يكتنزون معلومات عميقة عنه وعن تركيبته التنظيمية.

وأبو جندل شاب غزير الثقافة، شديد الذكاء، محاور جيد، سريع البديهة، يبهرك بطرحه القوي كلما حاولت محاصرته بالاسئلة، ويتمتع بذاكرة حديدية، وفوق هذا كله مفتول العضلات، ولذا ربما كان اختياره لحراسة أسامة بن لادن ليس من قبيل الصدفة.

عاد من أفغانستان إلى اليمن قبيل عملية تفجير المدمرة الأمريكية (كول) في ميناء عدن عام 2000 بحوالي شهرين، ألقي القبض عليه عقب ذلك وأمضى في السجن اليمني سنة و10 أشهر، منها 13 شهرا في السجن الانفرادي.

يقيم حاليا في صنعاء، ويمارس حياة طبيعية فيها، يتجول بحرية في شوارعها ويمارس نشاطه المهني بكامل إرادته، غير أنه ربما ليس حرا من أعين (الرقيب) المحلي والخارجي، حيث يعيش تحت الإقامة الجبرية في العاصمة صنعاء ومحظور عليه الانتقال للعيش في المناطق اليمنية الأخرى، كما أن اتصالاته تحت الرقابة الدائمة.

بعد محاولات متواصلة استمرت ستة أشهر لفتح هذه الملفات، تعاقبت خلالها عمليات رفض مستمرة من قبل الأجهزة الأمنية لذلك، ثم الموافقة المبدئية أحيانا والرفض أحايين أخرى، حتى تمكنا من اقتناص هذه الفرصة لإجراء هذه السلسلة من الحلقات التي تعطي القارىء صورة عن تنظيم (القاعدة) وتقدم رؤية من الداخل عن زعيمه ومؤسسه أسامة بن لادن، ابتداء من التنشأة والبيئة الدينية التي تربى عليها في السعودية، مرورا بحياته في السودان ونشاط التنظيم في إفريقيا، وانتهاء بحياته الشخصية وحياة التنظيم وعناصره في أفغانستان حيث استقر التنظيم والمنظمّ فيها حتى اليوم والتي اتخذ منها منطلقا لتنفيذ أبرز وأخطر العمليات العسكرية غير الحكومية، التي تسميها أمريكا (إرهابا) وتسميها القاعدة (جهادا)، والتي شكلت منعطفا هاما في السياسة الدولية.

في هذه الحلقة سيتحدث أبو جندل عن خلفيته الشخصية وعن البيئة الدينية التي عاشها في السعودية وتربى فيها أسامة بن لادن أيضا.

■ في البداية نرجو إعطاءنا فكرة شاملة عن شخصيتكم، البداية، النشأة والدراسة وكل ما يتعلق بها؟

■ **اسمي الكامل ناصر أحمد ناصر عبد الله البحري، من أهالي محافظة «شبوة» اليمنية، مغترب في السعودية، من مواليد مدينة جدة السعودية، سنة 1972، تربيت وترعرعت ونشأت في المملكة العربية السعودية، من أب وأم يمنيين، الوالدة تعمل ربة بيت والوالد ميكانيكي يعمل في ورشة للهندسة الميكانيكية، وهو رجل عادي جدا، درست المراحل الابتدائية والإعدادية والثانوية في المدارس السعودية، عشت مع أهلي في الأراضي السعودية، وتربيت مع أبناء تلك البلاد، احتضننا علماؤها ومشايخها ودعاتها، عشت أغلب حياتي في المملكة العربية السعودية، وخرجت من السعودية وعمري 21 سنة، ومنذ ذلك الوقت وأنا خارج الأراضي السعودية، ولكن حياتي الأولى كانت أغلبها في السعودية، حتى أن الكثير ممن يستمع إلى حديثي يظن أنني سعودي، من خلال اللهجة.**

■ حالتكم الاجتماعية؟

■ **حالتي الاجتماعية حاليا متزوج وأب لثلاثة أطفال، ولد وابنتين، مقيم في العاصمة اليمنية صنعاء، تزوجت بداية العام 1999، وقصة زواجي كانت غريبة، حتى أنه لم تكن لدي نية للزواج، ولكن قدر الله وما شاء فعل. خرجت من أفغانستان حينذاك ورجعت إلى اليمن وكانت النية أن أذهب إلى الشيشان، لكن الشيخ أسامة بن لادن دبرّ لي مع بعض الشباب وقال لا بد أن يتزوج هذا الرجل، فأرسل لي بعض الأخوة وقال زوّجوه، فقررت الزواج من اليمن، رغم أن نيتي كانت الذهاب إلى الشيشان، فكانت قصة زواجي أنني بدأت البحث عن فتاة تفهمني وتقدر وضعي وحالتي ووضعي الجهادي، وخصوصا أنني كنت حينذاك لا أرى في أن أترك الجهاد على الإطلاق، حيث كان تفكيري أن آخذ زوجتي وأولادي وأعيش في ساحة الجهاد مثلي مثل الشيخ أسامة بن لادن وغيره من المجاهدين، حيث كنت أتساءل: ما هو الفرق بيننا وبينهم؟ ولذا كنت أبحث عن فتاة مناسبة، فطفت أغلب اليمن تقريبا من أقصاه إلى أدناه بحثا عن هذه الفتاة، فقدّر الله لي أن أتزوج من زوجتي الحالية من مدينة صنعاء.**

■ هل سافرت بها معك إلى أفغانستان؟

■ **نعم، سافرت بها إلى أفغانستان بعد شهر ونصف من الزواج، حيث أخذت زوجتي إلى أفغانستان بعد زواجنا بشهر ونصف وحملت وأنجبت في مدينة قندهار طفلي الأول واسمه حبيب، وخرجنا من أفغانستان وعمره أربعة أشهر.**

■ هل كانت تعيش معك في الجبهات، أم في بيوت خاصة أم في المدينة مع الأفغان؟

■ **كانت تعيش معي في مجمع خاص بأسر المجاهدين في مطار قندهار، أما بالنسبة لأسر المجاهدين الذين يعيشون في مدينة كابول فكانوا يستأجرون بيوتا صغيرة مثلهم مثل بقية الأفغان، حتى أن المجاهدين العرب القندهاريين والكابوليين كانوا يشاركون الأفغان في مناسباتهم العديدة، في أعراسهم وأحزانهم، وكان الأفغان يزورونا ونزورهم، ونعيدّ عليهم ويعيدّوا علينا، ونقضي شهر رمضان مع بعض، وكذا قضينا فترات الأفراح والأتراح، حيث عشنا حياة اجتماعية طبيعية ولكن في مجتمع غريب عنا من ناحية اللغة والبيئة وطرق العيش.**

السعودية والجهاز الافغاني

■ كما ذكرتم بأنكم عشتم أغلب حياتكم في السعودية، كيف تأثرتم بالفكر الجهادي في السعودية رغم أنها تتبع المنهج السلفي؟

■ **هناك معضلة وسوء فهم يواجهها الكثير من أبناء المسلمين، تتلخص في أن الجهاد أصبح مجرد فكر لديهم، ونسوا أن الجهاد أمر فرضه الله علينا، مثله مثل الصلاة، مثل الصيام، مثل الزكاة ومثل الحج، وهذا مذكور في القرآن، وبهذا الفهم نحن نقرأ القرآن؛ على الرغم من أن جميع أصحاب التيارات الإسلامية بأفكارهم وبمناهجهم المتعددة يقرؤون نفس القرآن، فالله سبحانه وتعالى كما قال كتب عليكم الصلاة قال أيضا كتب عليكم القتال، فتأكد أمر الجهاد لدينا وجاء تأثرنا بما يدور من أحداث ومن مآس في العالم الإسلامي، وهو ما أشعل فينا جذوة الجهاد، حيث كانت عملية التأثر ليست بالجهاد كفكر، وإنما كانت عملية التأثر في بداية الأمر بأحداث المسلمين؛ طبعا أنا التزمت دينيا بفضل الله في العام 1987 فكنا نهتم بكل شأن يهم أمر المسلمين ونتابع أحداث المسلمين عبر ما تنشره الصحف والمجلات الإسلامية وغيرها، وحينها بدأنا بمتابعة أحداث أفغانستان ومعارك مدينة خوست وبعدها سقوط مدينة كابول، وكنا نتأثر كذلك بخطب خطباء المساجد الذين كان بعضهم يخطب في مدينة جدة عن الجهاد في أفغانستان، وأكثر شرائط الكاسيت المسجلة عن الجهاد التي تأثرنا بها هي شرائط الشيخ عائض القرني، وبالذات الشريط الأول واسمه (ليالي في أفغانستان) والشريط الثاني (أفغانستان التي رأيت)، فكان يتكلم ويحرّض ويدعو إلى الجهاد بشكل عجيب جدا، فأصبحنا نهتم بأمر الجهاد والمجاهدين، وجاءت بعد ذلك أحداث الكويت التي هزت العالم الإسلامي، ثم بعد ذلك مباشرة انتقلنا لأحداث البوسنة والهرسك، فكنا نشاهد أحداث المجازر وعمليات ذبح المسلمين هناك، وطبعا قبل ذلك كله وقبل متابعتنا لأحداث أفغانستان والبوسنة والهرسك كنا نتابع الأحداث في فلسطين، حيث أذكر أن صورة ارتسمت في مخيلتي ومازالت حتى اليوم لجندي يهودي يكسر أطراف طفل فلسطيني بالحجر، أمام مرأى ومسمع من العالم ولم يتحرك أحد من أجله، فكانت عيوني تدمع لأجل ذلك المشهد. وهذه الأحداث جميعها التي تحدث هنا أو هناك لم نكن بعيدين عنها، خاصة وأننا كنا شبابا نتفاعل معها بشكل كبير ونتابعها على الدوام من منطلق ديني كشباب متدين، فأصبح الوازع لدينا في عملية الانطلاق والدفاع عن أعراض المسلمين ليس من وازع نخوة وشجاعة فقط ولكن من وازع ديني أكثر شدة، يضاف إلى ذلك عمليات التحريض والدعوة للجهاد عبر خطب الجمعة وشرائط الكاسيت، والمجلات التي تغطي هذه الأحداث وغيرها، فتأثرت كثيرا بذلك وتمنيت لو أني أصبح مجاهدا من أولئك المجاهدين، أدافع عن أراضي المسلمين وكنت أعتبر الجهاد وحمل السلاح نوعا من العمل الخيري، وكنت أنظر للجهاد بأنه ليس فرض عين (على كل شخص)، وإنما فرض كفاية (إذا قام به البعض سقط عن الباقين) ولكن بإذن الوالدين، فكان دافعنا الأساسي للجهاد هو الدفاع عن أراضي المسلمين، من خلال المآسي التي كنا نشاهدها، والأحداث التي كنا نراها، بكاء الأطفال، ترملّ النساء، الأرقام الكبيرة لعمليات هتك الأعراض، فتأثرنا لذلك تأثرا كبيرا، وعندما انطلقنا للجهاد عشنا في واقع مرير ومناظر أعظم مما كنا نتوقعها أو نسمع عنها أو نشاهدها في وسائل الإعلام، وكأننا كنا مثل (القطة المغمّضة) وفتحت عيونها على هذا الهول، حيث بدأنا الاحتكاك الفعلي مع التيارات الأخرى، مع أعداء الأمة وأصبح فكر (الأمّة) ينشأ في رؤوسنا، وأدركنا أننا (أمة) لها مكانتها المتميزة بين الأمم، وإلا ما الذي أخرجني من السعودية، وأصولي من اليمن لأذهب للقتال في البوسنة؟ موضوع القومية خرج من رؤوسنا وأصبحت عندنا نظرة أكبر من ذلك، وهو موضوع أمة، وإن كانت القضية في بدايتها بسيطة جدا، فهذه كانت عملية حافز ودافع لنا للجهاد.**

■ هل كان جميع مشايخ العلم في السعودية يحضّون الشباب ويحرّضوهم على الجهاد ويناقشون قضاياه في خطب الجمعة وفي دروسهم المسجدية؟

■ **في الدروس الخاصة لم يكونوا ليناقشوا قضايا الجهاد، ولكن الموضوع كان أبعد من ذلك، حيث كان المشايخ يجهزون الشباب للجهاد، على سبيل المثال أذكر أن الكثير من الشباب جهّزهم للجهاد الشيخ سلمان العودة، فكانت أول انطلاقة لهم للجهاد وتجهيزهم المادي والمعنوي الأول للجهاد كان من قبل الشيخ سلمان العودة، طبعا كان هذا في فترة أحداث البوسنة، وبعض الشباب الذين جهزهم الشيخ العودة إلى طاجيكستان اعتقلوا هناك. وأذكر أن هناك بعض الحملات الخيرية لجمع التبرعات للبوسنة والهرسك مثلا، كانت تخصص بعضها لتجهيز الشباب للجهاد، فكانت عمليات التجهيز للجهاد متوفرة بمبالغ خرافية، وما كان هناك أي شيخ يقف ضد هذا التيار على الإطلاق، لأن السعودية كانت كلها ابتداء من الحكومة، مرورا بمشايخ العلم وانتهاء بعامة الشعب كانوا جميعا يقفون إلى جانب دفع الشباب باتجاه الجهاد في البوسنة والهرسك، فاندفعنا لذلك، حيث لم يكن هناك أي شيخ علم أو خطيب إلا ويتحدث على الجهاد في البوسنة والهرسك وعما يعانيه المسلمون في كل مكان.**

■ هل كان مشايخ العلم يمولون التجهيز للجهاد من أموالهم، أم أنهم كانوا يقومون بعمليات جمع التبرعات من الأثرياء ومن ثم يصرفون بعضها في عمليات التجهيز؟

■ **كانت عمليات التجهيز للجهاد جميعا من أموال التبرعات، وما كنت أسمع أن شيخا جهز مجاهدا من ماله الخاص إلا شيخا واحدا أو اثنين فقط، فكان مشايخ العلم عبارة عن حلقة وصل بين المتبرعين من أهل الخير وبين الشباب الراغبين في الذهاب إلى الجهاد، أنا على سبيل المثال جهزتني للجهاد امرأة، في أول انطلاقة لي للجهاد تعمل مدرسة، سمعت عن مآسي المسلمين في البوسنة والهرسك فأرادت المساهمة بالدفاع عنهم، فتساءلت ما هو أفضل شيء يمكنني المشاركة به في ذلك؟ فكان الجواب: جهّزي مجاهدا، فقالت أتبرع براتب شهر كامل لتجهيز مجاهد، وكان يساوي تقريبا ألفي دولار، وكان ذلك المبلغ أول تجهيز لي للجهاد في البوسنة والهرسك.**

■ أكدت بعض المصادر أن تنظيم (القاعدة) كان يرسل دعاته إلى مكة المكرمة، لاستقطاب عناصر جديدة له، ماذا تقولون في ذلك وهل كان بالفعل له مكاتب في أكثر من بلد للاستقطاب والتجنيد؟

■ **نعم، كان هذا الشيء موجوداً بشكل كبير جدا في السعودية، ولكن تحت غطاء المضافات (دور الضيافة)، ودور استقبال الجرحى لمعالجتهم في المستشفيات السعودية، حيث كانت هذه المضافات تستخدم غطاء لمكاتب تنظيم (القاعدة)، وكان كل من يذهب إلى هذه المراكز يجد فعلا أن هناك نوعاً من الحركة والتوجيه نحو معسكرات (القاعدة) في أفغانستان. وأذكر أنه كان يتم تشغيل أفلام فيديو للزائرين لهذه المضافات عن أحداث الجهاد في أفغانستان، وعن المواضيع الحوارية الحماسية الدافعة لحب الجهاد، لحثّ زائري هذه المضافات للانضمام إلى قافلة الجهاد هناك التي ربما تهيئ الانضمام لتنظيم (القاعدة). وكانت هذه المضافات التي تعجّ بالجرحى من المجاهدين في أفغانستان مفعمة بالنفحات الإيمانية وبالأجواء الإيمانية الشديدة التأثير، التي تولدّ حب المغامرة وحب الجهاد، فكانت هذه الأجواء وهذه المناخات تستخدم لاستقطاب الشباب إلى ساحات الجهاد، رغم أن عملية الاستقطاب لم تكن في ذلك الوقت ممنهجة بشكل واضح باتجاه تنظيم (القاعدة) ولكنها فيما بعد أصبحت نوعا من الاستقطاب الموجه باتجاهه، والانضمام لتنظيم (القاعدة) المعزز بالبيعة. ولكن الشيخ أسامة أكد أن جميع هذه الأوعية في السعودية لتنظيم (القاعدة) تم تفكيكها بالكامل وتم إلغاؤها فيما بعد، في مطلع التسعينات تقريبا عندما انتقل للسودان، بسبب خشيته من تفلت بعض المسؤولين عن هذه المراكز وقيامهم بأعمالهم قد لا تصب في إطار التوجه العام للتنظيم، وذلك حتى رجع إلى أفغانستان عام 1996، حيث أعاد إحياء هذه الفكرة ففتح فروعا لتنظيم (القاعدة) في كل من السعودية واليمن وغيرهما، فكان أبو علي الحارثي مسؤولا عن ساحة اليمن وكان العديد من الأخوة مسؤولين عن ساحة السعودية.**

■ هل كان تشجيع الحكومة السعودية للمجاهدين من حيث تقديم الدعم المادي لهم، أم من حيث توفير المناخ المناسب وتوفير التسهيلات لهم؟

■ **من ناحية التسهيلات أولا، ثم من ناحية النشاط الاعلامي ثانيا، والذي كان له دور كبير في تأجيج جذوة الجهاد لدى الناس، من خلال التغطيات الاعلامية لساحات الجهاد وخاصة المقابلات الصحافية التي كانت تجرى مع بعض رموز المجاهدين، مثل الشيخ محمود باحاذق (أبو عبد العزيز)، أول أمير للمجاهدين العرب في البوسنة، حيث أذكر أنه أجريت معه في إحدى المرات مقابلة مطولة من ست حلقات، ثم بعد ذلك حضرنا له محاضرات في السعودية، وحضرنا خطب له تحدث فيها عن الجهاد في البوسنة، وكانت توزع له شرائط كاسيت عبارة عن مقابلة بين الشيخ محمود باحاذق والشيخ محمد ناصر الدين الألباني في موضوع الجهاد وشرعية الجهاد في البوسنة والهرسك، وكيف يتم توجيه الشباب نحوه وكيف يتم إقناع الشباب بذلك الجهاد، ومثل هذه الأمور كانت تمثل تعبئة معنوية وإعلامية معلنة وكان مصرح لها من قبل الحكومة ولم تكن فيها أية مشكلة.**

بن لادن والسلفية

■ ولكن لو قارنا ساحة السعودية بالساحات الأخرى لوجدنا أن النشاط الجهادي فيها كان في تلك الفترة أكثر بكثير من أي بلد آخر، ألا يؤُخذ ذلك بأنه كان لإبن لادن تأثير في السعودية بحيث خلق هذا الحراك، حتى قبل تأسيسه لتنظيم القاعدة؟

■ **كان موضوع المناخ الإسلامي في كل مكان بالسعودية وكان روح الإسلام في كل شيء، في مجالس العلم وفي حلقات الذكر، واذكر أن أناسا كثيرين كانوا يأتون من خارج السعودية من دول عربية ومن دول إسلامية من أجل العيش في ظل هذا المناخ الإسلامي، وكان المجتمع بأكمله هناك نسيجا واحدا، وكان يستحيل أن يخلو بيت من ريحة التيارات الإسلامية، بأي شكل من الأشكال، فإذا لم يكن في البيت شاب ملتزم تكون فيه شابة ملتزمة، وإذا لم تكن فيه شابة ملتزمة ربما فيه شريط إسلامي أو كتاب إسلامي؛ فحتى عام 1991 تقريبا كان كل هذه الأعمال الجهادية قائمة باسم الإسلام وتنحو باتجاه الإسلام، ولم يكن هناك شيء اسمه (فكر جهادي) وهذا (فكر سلفي) وهذا (فكر إخواني)، وغيرها، لم يكن هناك وجود لأي شيء من هذا.**

■ ألم يخرج أسامة بن لادن من عباءة السلفيين؟

■ **بلى، الشيخ أسامة بن لادن سلفي، تربى على المنهج التربوي السلفي السعودي، القائم على المنهج الواحد، وهو المنهج الوهابي، حيث تدرس كافة المدارس السعودية كتاب (التوحيد)، دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وكنا نلقّن فيها هذه الدعوة صباح مساء، مثلما ترضع الأمهات أبناءها الحليب، حتى أصبحنا نحفظ شخصية محمد بن عبد الوهاب أكثر من حفظنا لتاريخ الصحابة، فالشيخ أسامة بن لادن خرج من تحت عباءة الدعوة السلفية السعودية.**

■ أنتم كشباب متدينين، بماذا تأثرتم جهاديا، وما هو دور العائدين من ساحات الجهاد في أفغانستان في هذا التأثير عليكم؟

■ **لا أخفيك أن الكثير من الشباب المتدين السعودي كان يقضي العشر الأواخر من رمضان في أفغانستان، بل كان بعضهم يقضي إجازة نهاية الأسبوع في أفغانستان في ظل الجسر الجوي المفتوح والرحلات المتواصلة بين السعودية ومدينة بشاور الباكستانية التي لا تصلها من الخارج سوى طائرات الخطوط السعودية، وكانت الأمور مسهلّة لهم إلى هذا الحد، وكان الشباب يغبطون الذين يذهبون إلى أفغانستان ويتأثرون كثيرا بهم، أذكر أن أحد زملائنا ذهب إلى أفغانستان وقضى فيها أسبوعين من رمضان، وعندما عاد استقبلناه استقبال الفاتحين، وأثّر فينا تأثيرا بليغا، وعندما ننظر إلى البدلة الأفغانية التي كان المجاهدون العائدون يلبسونها ويتجولون بها في شوارع جدة أو شوارع مكة والمدينة كنا نشعر وكأننا نعيش مع جيل الصحابة الفاتحين، وبالتالي كنا نتخذهم قدوة لنا ومرجعية لنا.**

الانقلاب السعودي

■ كيف تفسرون إذا الانقلاب السعودي الكبير على شبابها المجاهد العائد من أفغانستان، رغم كل تلك التسهيلات التي قدمتها لهم حكومتها؟

■ **هذه هي المأساة الخطيرة، التي تعبرّ عن خطأ هذا الموقف الذي جعل الوضع ينقلب على عقبيه، وهنا أود الإشارة إلى أن الوضع السياسي في السعودية قائم على أساس التحالف بين الدعوة السلفية الوهابية التي أسسها الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وبين إمارة آل سعود، وهذا الحلف السياسي الديني، كان يقوى أحيانا ويضعف أحيانا أخرى؛ وأعتقد أن انقلاب السعودية على الشباب المجاهد له أسبابه ودوافعه الكثيرة داخل النظام السعودي ذاته، وخصوصا خوف الشريك الثاني (آل سعود) في السلطة من تنامي ومن سيطرة حليفهم الديني على كل شيء، ويخشون أن يلغوهم إلغاء كاملا، ولذا قرروا اتخاذ عملية عكسية للتراجع عن هذا التحالف، والتي جلبت على السعودية كل هذه المعاناة التي لم تقف عن حد؛ وكانت فترة اعتقال مشايخ السعودية المؤثرين من سنة 1993 إلى سنة 1998 كافية لتفلت الشباب من أيدي هؤلاء المشايخ الذين كانوا يمثلون صمام الأمان لهؤلاء الشباب وكانوا يكبحونهم من التهور، وبمجرد انفصال الرأس عن الجسد، انطلق هؤلاء الشباب باتجاه آخر، فتلقفهم الشيخ أسامة بن لادن في تنظيم القاعدة، وأصبح الشباب يندفعون باتجاه الجهاد وباتجاه حيازة السلاح.**

■ هل تعتقد أن ما حصل مؤخرا من تفجيرات داخل الأراضي السعودية كان بمثابة رد فعل على الانقلاب السعودي ضد الجهاديين، وما سر توقيته الحالي؟

■ **أساس فكرة التفجيرات كلها عملية رد فعل، فبعد رجوع الشباب من جبهات الجهاد الخارجية زجت الحكومة السعودية بالشباب في السجون والمعتقلات ومارست ضدهم التعذيب، وتلفيق التهم العشوائية، وكان إذا اجتمع خمسة شباب على مائدة طعام أو التقوا على أي شيء تلقي عليهم القبض بتهمة التخطيط لقلب نظام الحكم، وكان التحرك الأمني السعودي فيه نوع من التناقض والغرابة. وأقسم بعض الشباب الذين اعتقلوا بأن الأجهزة الأمنية أجبرتهم على التوقيع على ورقة بيضاء وتم تعبئتها وفقا لأهواء رجال الأمن، وكانت الأحكام قاسية جدا ومجحفة في حق الشباب، وفجأة تخلى عنهم العلماء، ومارست السلطة ضدهم سياسة القمع والضرب بالحديد والنار، فتولد لدى الشباب نزعة انتقامية ونزعة التكفير للحكومة، من منطلق أن هذه الأعمال الوحشية ليست من صفات ولا من أخلاق المسلم ولا يمكن أن يقترف مثلها. ولذلك تواجهت الخبرة والمهارة القتالية والأمنية التي اكتسبها هؤلاء الشباب في أفغانستان وفي البوسنة والهرسك وفي ساحات جهادية أخرى بالقصور والنسبة الكبيرة من عدم الخبرة لدى الأجهزة الأمنية السعودية، ونجحوا في تنفيذ هذه التفجيرات نتيجة لذلك، حيث يوجد لدى هؤلاء الشباب خلاصة خبرة الجماعات الإسلامية المسلحة في العالم الإسلامي بأكمله، من سورية، من مصر، من ليبيا، من الجزائر، ومن غيرها واحتكوا كثيرا بخبراء من كل هذه الدول، واختلطوا بأصناف وأشكال كثيرة من الخبرات ومارسوا الكثير من عمليات التجارب، بالإضافة إلى فترة صراع بينهم وبين الحكومة السعودية منذ 1993 وحتى الآن، وخلاصة كل هذه التجربة طبقوها في وجه الحكومة السعودية، التي تلقي عناصر أجهزتها الأمنية تأهيلا وتدريبا حديثا في الخارج ولكنه يظل نظريا ومحدودا ولا يوازي حجم الخبرة لدى العائدين من بين الحديد والنار في ساحات وجبهات الجهاد؛ كما أن سلطات الأمن السعودية بدأت من حيث بدأ الآخرون، بينما هؤلاء الشباب انطلقوا من حيث توقف الآخرون، ومن هذه الزاوية أصبح الكثير من الشباب يستطيعون تنفيذ عملية انتحارية بمفردهم، وأبرز مثال على ذلك عملية اقتحام القنصلية الأمريكية في جدة مؤخرا، التي أثبتت مدى البراعة لدى هؤلاء الشباب والدقة في العمل الاستخباراتي والعمل العسكري في تنفيذهم للعمليات الخاصة بحيث استطاعوا اقتحام القنصلية الأمريكية في جدة التي تعتبر ثكنة عسكرية لوحدها. ومثال آخر عملية قتل روبرت جاكسون الخبير العسكري الأمريكي في طائرة الأباتشي، كيف عرف هؤلاء الشباب أن هذا خبير في طائرة الأباتشي، وكيف حصلوا على هذه المعلومات، ثم وصلوا إلى داخل بيته وقتلوه فيها، رغم أنه كان في مهمة استخباراتية بالسعودية بغطاء العمل في شركة نفطية؛ وهذا يعني أن الشباب وصلوا إلى مرحلة عالية من الخبرة والدقة ومن القدرة على الحصول على المعلومات والتفوق في كل الاتجاهات. ولذا أعتقد أن رد فعل الحكومة السعودية على هؤلاء الشباب وتخلّي العلماء عنهم جعل وسيجعل الشباب يصدرون الفتاوى من ذات أنفسهم، وإلا فمن هم المنفذون للعمليات الأخيرة في السعودية؟ جميعهم شباب عاديون، ولكنهم أصبحوا متعطشين لتنفيذ العمليات الأمنية، وأصبحوا ينظرون للأمريكان بأنهم محتلون والحكومة السعودية حكومة عميلة ومرتدة.**

■ منذ نهاية العام 2002 توقفت العمليات الإرهابية في اليمن، ما أسباب ذلك؟ وهل يعطي مؤشرا بأن عناصر (القاعدة) في اليمن وصلوا إلى درجة من الضعف بحيث أصبحوا عاجزين عن تنفيذ أي عملية من هذا النوع، أم أنهم توصلوا إلى هُدنة مع السلطة كنتيجة لحوارها معهم؟

■ **في الحقيقة الحكومة اليمنية استخدمت عدة آليات في التعامل مع الشباب العائدين من أفغانستان، كانت أفضلها وأقواها آلية (الحوار)، حيث اضطرت الحكومة اليمنية إلى التعامل مع هذا الموضوع بهذه الآلية رغم استخدامها لآلية الحديد والنار وآلية المحاكمات في العديد من المواقف؛ واعتقد أن استخدامها لموضوع الحوار وجعله الركيزة الرئيسية لتعاملها مع هؤلاء الشباب والسياسة المتبعة لديها أسهم في إنجاح جهودها لامتصاص ردة الفعل العكسية لديهم، وحتى الآن ما زال هذا الحوار متقدما بنجاح قوي ومعظم الشباب الذين خرجوا من داخل السجون اليمنية كنتيجة لهذا الحوار التزموا بالعهد الذي أدوه للحكومة أثناء خروجهم من السجون بألا يقوموا بأي شيء يخل بالأمن داخل البلد، وتولدت لديهم هذه القناعة بالفعل وأنهم لا يريدوا افتعال مشاكل وقلاقل داخل بلدهم، حيث حب الوطن من الإيمان، وحب هؤلاء الشباب لبلدهم عميق في صدورهم، لكني أوجه دعوة صريحة للحكومة اليمنية بأن تقوم فعلا بتنفيذ ما التزمت به من وعود لحل مشاكل هؤلاء الأشخاص الاجتماعية والمعيشية وغيرهما، لأن كثيرا منهم يعاني من عدم الاستقرار المادي ومن عدم استقرار الوضع الاجتماعي، والحكومة التزمت بحلها وتستطيع أن تحل هذه المشاكل عبر أي وسيلة تراها مناسبة، حتى يعودوا للوضع الطبيعي ويندمجوا في مجتمعهم مرة أخرى بمثل ما كانوا عليه ويمكن أن تتم الاستفادة من خبرتهم ليصبحوا في المستقبل حماة لبلدهم. لذا أعتقد أن موضوع الحوار الذي انتهجته الحكومة اليمنية وإطلاق صراح الكثير منهم من السجون عقبه كان وسيلة جيدة للتعامل مع العائدين من أفغانستان، وقفزة نوعية فيما يسمى بمكافحة الارهاب، وامتصاص غضب هؤلاء الشباب على حكومة بلدهم، وهذا ما ساهم في توقف العمليات العسكرية لهؤلاء داخل الأراضي اليمنية.**

ابو جندل مع سالم حمدان المعتقل في غوانتانامو والوحيد الذي يحاكم الان

صورة ارتسمت في مخيلتي ومازالت حتى اليوم لجندي يهودي يكسر أطراف طفل فلسطيني بالحجر، أمام مرأى ومسمع من العالم ولم يتحرك أحد من أجله، فكانت عيوني تدمع لأجل ذلك المشهد....

تأثرنا بأشرطة الشيخ عائض القرني، وبالذات الشريط الأول واسمه (ليال في أفغانستان) والشريط الثاني (أفغانستان التي رأيت)، فكان يتكلم ويحرّض ويدعو إلى الجهاد بشكل عجيب جدا، فأصبحنا نهتم بأمر الجهاد والمجاهدين، وجاءت بعد ذلك أحداث الكويت التي هزت العالم الاسلامي، ثم بعد ذلك مباشرة انتقلنا لأحداث البوسنة والهرسك....

* مراسل «القدس العربي» في صنعاء